

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها
محاضرات موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس - الدراسات اللغوية بنظام (ل.م.د.)
مقياس منهجية البحث اللغوي
إعداد الأستاذة: دلولة قادري

المحاضرة التاسعة
المنهج الوصفي (الإجراء)

المحاضرة التاسعة

المنهج الوصفي (الإجراء)

إن الدراسات اللغوية منذ نشأتها تعتمد بصفة كاملة على الوصف، وإذا كان الوصف عنصر أساسي في الأبحاث اللغوية، فقد خصه علماء القرن العشرين في أوروبا بمنهج مستقل، له خصائصه ومقوماته أطلقوا عليه اسم المنهج الوصفي، فقد كان العلماء في القرن التاسع عشر للميلاد يعتمدون في دراستهم للغة على توظيف المنهجين التاريخي والمقارن، كما رأينا في المحاضرتين السابقتين، ولم ينتبهوا إلى أنه بالإمكان دراسة اللغة على نحو علمي أكثر دقة مما سبق بإخضاعها للدراسة الأنوية، أي بدراسة الظاهرة اللغوية في لغة معينة وفي فترة زمنية محددة وذلك بملاحظة تلك الظاهرة ووصفها وتفسيرها، والحديث عن جوانبها و كشف حقائقها وخصائصها للوصول إلى أسبابها والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج ومن ثم تعميمها، إلا أن الباحث السويسري دي سوسير (Ferdinand de Saussure) (ت 1913م) في القرن العشرين رأى أن هذا الاتجاه هو الأصح في دراسة اللغة للوصول إلى حقائق علمية دقيقة، وذلك بفضل منهج آخر يختلف عن المنهجين السابقين، وهو المنهج الوصفي (Methode descriptive)، وأطلق على علم اللغة الذي يوظف هذا المنهج عبارة (Linguistique synchronique) أي اللسانيات الوصفية، وهي عبارة ترجع إلى الأصل اليوناني مركبة من جزأين (Syn) بمعنى (معا) و (chronos) بمعنى (زمن)، أي أن الدراسة تحدث في الوقت نفسه، وكذا فإن المبدأ الذي ينطلق منه المنهج الوصفي يختلف جذريا عن ذلك المبدأ الذي يعمل وفقه المنهج التاريخي أو المقارن، إذ أن الباحث اللغوي بالمنهج الوصفي لا يلقي بالا إلى الظاهرة المدروسة في الفترات الزمنية المتلاحقة، والتي من الأكيد أن تحدث بعض التغيرات عليها بفعل التباين الزمني، وإنما يدرس الظاهرة في وقت محدد لا يتجاوزها، ويدرسها كما هي عليه لا كما يجب أن تكون، كما أنه لا يلقي بالا إلى الظاهرة في لغتين مختلفتين فيلجأ حينئذ إلى

مقارنتها بأختها في اللغة الأخرى، وإنما يكتفي بدراستها في لغة واحدة لا يتجاوزها يقول رمضان عبد التواب : "يكتفي المنهج الوصفي بوصف أية لغة من اللغات عند شعب من الشعوب، أو لهجة من اللهجات، في وقت معين ، أي أنه يبحث اللغة عرضيا لا طوليا، ويصف ما فيها من ظواهر لغوية مختلفة، ويسجل الواقع اللغوي تسجيلا أميناً."

وبذلك فإن أية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية لإحدى اللهجات القديمة أو الوسيطة أو الحديثة تعد دراسة وصفية، بشرط أن تكون في فترة زمنية محددة ، وهذا الشرط ضروري لتحقيق نتائج علمية دقيقة، لأن عامل الزمن يؤثر في تغير الظاهرة المدروسة، وهذا التغير يعطي نتائج غير دقيقة في تحديد خصائص تلك الظاهرة. وهكذا يكون المنهج الوصفي قد دفع بعجلة العلم في اللغة دفعة قوية نحو الدقة العلمية، وقد شهد القرن العشرون مدارس لسانية متعددة تبنت المنهج الوصفي في أبحاثها اللغوية، وهي:

1- **المدرسة البنوية (Linguistique structurale):** وأول روادها هو دي سوسير، وقد تأثر بنظرية دي سوسير العالم الأنثروبولوجي الأمريكي فرانز بوز (Franz Boas) (ت 1942م)، ثم اللساني الأنثروبولوجي الأمريكي إدوارد سابير (Edward Sapir) (ت 1939م)، ثم اللساني الأمريكي بلومفيلد (Leonard Bloomfield) (ت 1949م) الذي أسهم في تطوير المدرسة اللغوية البنوية.

2- **مدرسة النحو التوليدي التحويلي :** وقد رفضت هذه المدرسة كثيرا من الأسس التي جاءت بها المدرسة البنوية، ومن ذلك أن الكثير من البنويين قد استبعدوا المعنى في دراساتهم للغة واهتموا بالشكل الخارجي لها، بينما المعنى بالنسبة للتحويليين أمر ضروري في شرح العلاقة بين الجمل التي تحمل المعنى نفسه و تختلف في ظاهر تراكيبيها، وعلى رأس هذه المدرسة اللساني الأمريكي هاريس (Zellig Harris) (ت 1992م) وتلميذه تشومسكي (Noam Chomsky) (1928)، ويعد الأول الأب الحقيقي لعلم اللغة التحويلي ، والثاني الأب الحقيقي لعلم اللغة التوليدي ، وقد لاحظ تشومسكي أن المنهج البنوي الذي يتمتع بشيء من الجدوى في دراسة الفونيمات والمورفيمات، لا يتوافق مع دراسة الجمل ، لأن كل لغة بها عدد محدود من الفونيمات والمورفيمات، غير أن عدد الجمل في أي لغة واقعية هو عدد غير متناه، إذ ليس هناك حد لعدد الجمل الجديدة التي يمكن إنشاؤها، ولا تستطيع المدرسة البنوية تفسير ذلك.

وبذلك نرى أنه، وإن كان بإمكان المنهج الوصفي أن يستقل عن المناهج الأخرى في دراسة أصوات اللغة ، إلا أن ذلك يتعذر في حال التراكيب، إذ أنه بحاجة ماسة إلى المنهج التاريخي للوصول إلى نتائج علمية دقيقة ومنطقية، يقول رمضان عبد التواب : "إن عرض نحو أية لغة يكتفي إن أراد الاقتصار على هذه اللغة بوصفها، غير أن تحليل الظواهر التي توجد في هذه اللغة يظل أمرا بالغ الصعوبة، إذا لم يعرف لهذه اللغة فترات تاريخية متباعدة يمكن المقارنة بينها ومعرفة صور التطور الناتجة عبر الأجيال الكثيرة ، وعندئذ يمكن الكشف عن السر الذي يكمن وراء إحدى صور هذا التطور" ، وهكذا نرى بأن الصلة وثيقة بين هذين المنهجين ولا غنى للباحث في اللغة عنهما من الناحية العملية، يقول ماريو باي : "و بينما الوظيفة الأولى لعلم اللغة الوصفي هي أن يصف، ولعلم اللغة التاريخي هي أن يعرض التغيرات اللغوية، فمن الصعب كثيرا الفصل بين النوعين في مجال التطبيق العملي، وذلك لأن كل المصطلحات التي استعملت تحت العنوان الوصفي قابلة من الناحية العملية للاستعمال كذلك مع الفرع التاريخي". ولذلك فإن المنهج الوصفي يشتمل على عدد من المناهج الفرعية والأساليب المساعدة، كأن يعتمد على دراسة الحالة أو الدراسة الميدانية أو التاريخية. إن المتتبع لتطور العلوم يستطيع أن يلمس الأهمية التي احتلها المنهج الوصفي في هذا التطور، ويعزى ذلك إلى ملامسته القريبة جدا لدراسة الظواهر اللغوية، لأن هذا المنهج يصف الظواهر وصفا موضوعيا من خلال البيانات التي يتحصل عليها باستخدام أدوات وتقنيات البحث العلمي، ولا يقتصر المنهج الوصفي على

التعرف على معالم الظاهرة وتحديد أسباب وجودها، وإنما يشمل كذلك تحليل البيانات وقياسها وتفسيرها والتوصل إلى وصف دقيق للظاهرة ولنتائجها.

أولاً: أسس المنهج الوصفي:

يقوم المنهج الوصفي على أسس ثلاثة ، هي:

1 - الاستقرار: حيث يقيم الواصف دراسته على الوقوف على الكيفية التي تنفذ بها اللغة على ألسنة المتكلمين، ويشترط في ذلك:

- الاعتماد على معطيات لغوية مستعملة فعلاً.

- الاتصال المباشر بالمتكلمين والسماع من أفواههم، وتدوين المسموع.

- الاعتماد في العمل الميداني على المتكلم الأصلي ، وهو الراوي أو مساعد الباحث.

- أن يكون الراوي ممثلاً صادقاً للغة أو اللهجة المدروسة ، بأن يكون ممن نشئوا في ظل هذه اللغة قيد الدراسة، ومن الأفضل ألا يكون قد خرج من المنطقة التي تتكلم بها، لأن كثرة الأسفار والتعرض للاحتكاك باللغات الأخرى يجعل المرء عرضة للتغيير في نطقه.

- يحسن أن يكون الراوي أمياً حتى لا يتأثر بالعوامل الثقافية في تمثيله الصحيح.

2 - التصنيف : وهو الأساس الثاني الذي يلي عملية الاستقرار، ويقصد به تقسيم المادة اللغوية، ويشترط في ذلك:

- الملاحظة الدقيقة للمادة اللغوية المستقرأة.

- تحديد أوجه الاتفاق والاختلاف بين جزئيات هذه المادة .

- جمع ما يتوافق منها في الشكل أو في الوظيفة وجعلها قسماً بذاته، ثم تسميته باسم معين.

3 - التقعيد: وهو وضع القواعد المناسبة لما لاحظته الواصف بعد الاستقرار والتصنيف،

ويشترط فيه:

- أن لا تكون القاعدة بمثابة القانون المفروض على المتكلمين باللغة المدروسة.

- صياغة القاعدة بعبارة مختصرة قدر الإمكان.

- أن تتصف القاعدة بالعموم، وليس من الضروري أن تتصف بالشمول، فإذا ظهرت حالة تخالف القاعدة عدت ظاهرة فرعية إلى جانب القاعدة، وقد تعضدها دون أن تطعن فيها.

ثانياً: خصائص المنهج الوصفي:

يتميز المنهج الوصفي عن غيره من المناهج بأنه:

1- يهتم باللغة المنطوقة ويجعلها هدف البحث اللغوي ، لأن التغييرات أكثر ما تظهر على اللغة المنطوقة.

2- يقتصر على الجانب الشكلي في وصف الظواهر اللغوية ، وطرح كل ما هو غير شكلي ولا تحده الضوابط التركيبية للوحدات اللغوية .

3- لا يعير اهتماماً للمنطق الأرسطي لأنه يؤدي إلى الاضطراب والجدل الذهني، ويهتم بمنطق اللغة الذي يؤدي إلى التفكير المنظم في تناول مظاهر اللغة وعناصرها وتقسيم فصائلها وأنواعها.

4- يستهدف وصف الظاهرة اللغوية دون مقارنتها ودون الوقوف على مراحل تطورها، بل يصفها كما هي من حيث أطراد و شيوخ قواعدها.

5- أكثر المناهج توظيف في العلوم الإنسانية وبخاصة في البحوث اللغوية .

ثالثاً: أدوات المنهج الوصفي:

يعتمد المنهج الوصفي كبقية المناهج الأخرى على أدوات محددة، يمكن إجمالها فيما يأتي:

- **الملاحظة:** وهي أهم أداة يوظفها المنهج الوصفي في الأبحاث اللغوية ولا يمكنه الاستغناء عنها، والمقصود بها الملاحظة العلمية التي تعني النظر المتأن في الظواهر بواسطة الحواس أو بالاستعانة بوسائل وأدوات مناسبة لموضوع الملاحظة.

- **العينة:** وهي مجموعة تمثل المجتمع المستهدف بالدراسة و البحث ، يوظفها المنهج الوصفي عندما يتعذر أو يصعب الاتصال بكل فرد، أو عندما يكون مجتمع الدراسة كبيراً يصعب التحكم فيه.

- **الاستبانة:** وهي استمارة تضم مجموعة أسئلة محضرة تحضيرا يراعى فيه مجموعة من القواعد المنهجية، توزع على المستجوبين للإجابة عليها.